قطاعات علم اللغة (اللسانيات):

أما قطاعات الدرس اللساني فتشمل الظواهر اللغوية كافة، من الأصوات، والصرف، والنحو والدلالة، فاللسانيات سعت إلى درس اللغة كلِّها، وأعادت لذلك الاتصال الذي لا بدَّ منه بين هذه القطاعات جميعاً . فالتحليل اللساني يبدأ بالأصوات لأنها العناصر الأولى التي تشكل الكلمات أو الوحدات الدالة ، ثم ينظر في بناء الكلمة من حيث الشكل والوظيفة، ويتقدم بعد ذلك إلى تركيب الكلمات في جمل إسنادية فيبين قواعده ومعانيه النحوية. وينتهي عند درس المعنى المتحصِّل من معاني الكلمات معجمياً وسياقياً من خلال تضافر القطاعات اللغوية والمعطيات الاجتماعية والثقافية.

فالقطاع اللغوي هو جانب من جوانب الكلام الذي يراد تحليله وبيان معناه. لذلك تحدّدت قطاعات الدرس اللغوي على هذا النحو المتدرِّج صعوداً:

١. قطاع الأصوات: ويشمل وصف الأصوات وقواعد تشكيلها، أي ما ينضوي تحت مصطلحي: (Phonetique) و(Phonologie) .
٢. قطاع الصرف: أي ما يدخل ضمن مصطلح (Morphologie) .
٣. قطاع التركيب أو النحو: أي ما يتصل بتركيب الجملة (Syntaxe)أو(Grammaire).
٤. قطاع الدلالة: أي ما يتعلق بمعاني الكلمات معجمياً، وما يلحق به من مجالات علمية وتطبيقية كالمصطلح والمعجم مما يضمُّه مصطلح (Semantique) .

أقسام اللسانيات (علم اللغة):

تجمع الدراسات الحديثة على أن اللسانيات أو (علم اللغة) كلّي يشمل كلَّ دراسة للظواهر اللغوية وما يتصل بها من مناحي الاتصال بالعلوم الأخرى على اختلافها. فقسم العلوم الداخلة في اللسانيات عادة إلى قسمين كبيرين هما:

١- اللسانيات النظرية
٢- اللسانيات التطبيقية

وتضم اللسانيات النظرية علوم اللغة التي تعنى بالظواهر اللغوية وحدها، كعلم الأصوات وعلم الصرف وعلم النحو أو التركيب وعلم الدلالة. وينضوي تحت بعض هذه العلوم علوم أخرى فرعية سنبين حين نتناول القطاعات الدرسية في الفصول التالية.

أما اللسانيات التطبيقية فتضمُّ العلوم التي تطبق الدرس اللساني النظري، كتعليم اللغات القومية والأجنبية ، وصناعة المعاجم والترجمة ، وأمراض الكلام، ومختبرات اللغة.

وهناك فروع نتجت عن صلة اللسانيات بالعلوم الأخرى، والتي تنحو تطبيقاً واضحاً:

١. اللسانيات الاجتماعية.
٢. اللسانيات النفسية.
٣. اللسانيات الجغرافية.
٤. اللسانيات العصبية.
٥. اللسانيات التربوية.
٦. اللسانيات الأجناسية.

الفصل الثاني

الدرس الصوتي

١- تمهيد:

تتصف اللغات بادئ ذي بدء بكونها كلاماً منطوقاً يُتداول مشافهة . فلقد عرف الإنسان الكلام المنطوق قبل أن يخترع الكتابة بأحقاب طويلة لا ندري مداها في القدم ابتداءً. ولم يكن اختراع الكتابة متأتياً من معرفة الطبيعة الشفهية للغة ومحاولة تقييدها بالكتابة، بل كان محاولة لتسجيل معنى الكلمة بتمامها عن طريق الصور والرسوم . وظل مفهوم الأصوات المفردة غائباً حتى توصَّل الإنسان إلى الأبجدية، أي إلى العناصر الصوتية المفردة التي تشكِّل بائتلافها الكلمات. ومع أنَّ توصُّل الإنسان إلى الكتابة أمر مهم جداً على صعيد العلم والحضارة، فإنّه لم يقلّل من أهمية المشافهة في تداول اللغات ونقلها من جيل إلى جيل آخر. بل إن الأمية التي عرفتها الشعوب القديمة على نطاق واسع لم تحُل دون إبداع لغات عظيمة ذات آداب متفوّقة كالعربية مثلاً.

ومن الجدير بالذكر أن اللسانيات الحديثة أعادت الاهتمام باللغات المنطوقة، فمعظم علماء اللغة يرون أنّ من البدهي أن تأتي دراسة الكلام أولاً. أما اللغة المكتوبة فتأتي في المرتبة الثانية لأنها مشتقة من الكلام ، بل هي تمثيل له.

ومهما بلغت الكتابة في تمثيلها للنطق ، فإنها لا تستطيع نقل حركات الجسم وتعبيرات الوجه ونغمات الأصوات وسائر ملامح السيميائية للكلام.

لقد قاد اختراع الأبجدية التي يرمز فيها الحرف إلى الصوت بدلاً من الأشكال والمقاطع التي تشير إلى معان ، إلى بداية لوصف الأصوات ومعرفة خصائصها والإلمام بالمخارج الصوتية بالمخارج الصوتية ونحو ذلك. ولعل الشعوب الكنعانية ولا سيما الفينيقيين هم أول من أدرك العناصر الصوتية، المؤلفة للغة، ورغم ما قيل عن اقتصار الفينيقيين على تدوين الصوامت وحدها وإهمال الصوائت فإنَّ ما توصّلوا إليه من اختراع للأبجدية يعدّ حدثاً خطيراً في تاريخ البشرية التي لم تستطع أيٌّ من حضاراتها الوصول إلى هذا التحليل اللغوي الذي يبدو لنا الآن بدهياً وبسيطاً.

أما الهنود فقد اهتموا بوصف الأصوات لإبقاء اللفظ الصحيح للعبارات الدينية، إذ أدّى انقطاعهم عن تداول اللغة السنسكريتية لغة الآلهة إلى التشدد في الحفاظ عليها، لأنها بقيت لغة النصوص المقدسة التي ينبغي أن تتلى في الاحتفالات الدينية خالية من أي خطأ. ولم يكن وصف

الأصوات عند الهنود مرتبطاً بالكتابة على النحو الذي رأيناه في اختراع الأبجدية لدى الشعوب الكنعانية ، وإنما بقيت الكتابة الهندية مقطعية، إذ لم تستطع الوصول إلى الأصوات المفردة ، كما لم يستطع تحليل الأصوات الوصول إلى كتابة أبجدية . ومهما يكن من الأمر فإن الهنود توصلوا إلى تحليل مبتكر لأصوات اللغة مستقل عن الكتابة وسابق لها .

وعني الإغريق باللغة ودرسها عناية فائقة ، كما عنوا بالفلسفة والآداب والفنون، غير أن ما يهمنا في هذا العرض التاريخي الموجز هو بيان ما أجزوه على صعيد التحليل الصوتي فالإغريق الذين أخذوا الاختراع الكنعاني عن طريق الفينيقيين أسهموا في استكمال هذا الاختراع حين أرشدتهم طبيعة لغتهم إلى تدوين الأصوات الصائتة، ففي اليونانية لا تخمن حروف المد تخميناً، ولولا الإشارة إليها لما فهمت اللفظة مطلقاً، ومع أن علماء الإغريق وصفوا الحروف وعرفوا طبيعة الأصوات الإنسانية، وتوصلوا إلى بيان بعض صفاتها، فإن ما قدمه الهنود يفوق معطيات التحليل الصوتي الإغريقي الذي لم يؤثر تأثيراً مهماً في دفع الدرس اللغوي عند الغربيين ورثة الإغريق

ولما بدأ نجم العرب يعلو بمجيء الإسلام أخذوا ينشؤون حضارتهم التي شملت كل ميادين العلوم والآداب. وكان لهؤلاء مجد أدبي سامق هو الشعر الذي قيل فيه حقا إنه ديوانهم ومجلى بيانهم وعنوان فخرهم. ولم يكن لهم مع ذلك آثار مكتوبة تدون ذلك الشعر؛ لأنهم كانوا أمة أمية اعتمدت المشافهة والرواية طريقاً لنقل الشعر والأخبار والمعارف من جيل إلى آخر وتداولها. لكن تضافر عوامل متعددة عمل على وصف الأصوات العربية وصفاً فذّاً، فقد أسهمت قراءات القرآن الكريم بما فيها من ملامح نطقية بارزة – وهي التي يشترط في صحتها أن تكون منقولة مشافهة عن الرسول (ﷺ) ووجوه لهجية صوتية أيضاً، وتدوين المصحف وتجويد خطه وضبطه، ونشوء علمي اللغة (المفردات) والنحو (الإعراب والصرف) في ظهور الدرس الصوتي عند الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) في مقدمة معجمه (كتاب العين).